السَّلَف والخَلَف

للاب لويس شيخو اليسوعي

كلُّ الالسنة تلهج هذه الأيام بموت الحبر الاعظم وبانتخاب خلفهِ الذي يجلس من بعدهِ على كرسيّ هامة الرسل. فرأينا ان نلخص في هذه النبذة العادات الجارية في رومية عند وفاة البابا وعند تنصيب خلفهِ ليكون القرَّاء على بصيرةٍ ولا يصدّقوا اخباراً كثيرة يشيّعها من ليس لهم دراية باحوال الكرسي الرسوليّ فنقول:

اذا ما قرب اجل امام الاحبار تُقام الادعية الحارَّة في كلّ كنائس رومية بامر نائب قداستهِ ويُعرَض القربان الاقدس لصيانة حياتهِ الثمينة. ثم يجتمع الكرادلة وكبار عمَّال البلاط الرسولي والحشم الخاصّ في قاعة المريض وفي خلال ذلك يساعدهُ في تطهير نفسهِ بسرّ الاعتراف معلم ذمَّتهِ ويقف بجانبهِ الكردينال الموكول اليهِ حلّ العقابات الكنسيَّة (grand - pénitencier) ثمَّ يأتيهِ أُسقف مَوْفهه (évêque-sacriste) بالقربان الطاهر ليزوّدهُ بهِ لآخرتهِ ويمسحهُ المسحة الاخيرة. وبعد ذلك يتلو بين ايدي الحضور قانون الايمان الذي فرض بهِ المجمعان التريدنتيني والڤاتيكاني ويُحلّ الحلَّة الاخيرة ويُمنَح الغفران العظيم المعطى للموشكين على الموت. وكذلك يشركهُ كبار رؤساء الرهبانيَّات بغفارين جمعيَّاتهم المخصوصة بهم

واذا امكن الاب الأقدس ان يوجّه الى الحضور بخطاب وجيز فعل فيوصيهم بوصاياهُ الاخيرة كما صنع المسيح ليلة موتهِ ويزوّدهم ببركتهِ الرسوليَّة وربَّما عرَّفهم مضمون وصيَّتهِ السرّيَّة ودلَّ على المكان الذي اختارهُ لدفنهِ. وتُختم هذه الحفلة المؤثرة بتلاوة الصلوات المفروضة قبل الوفاة وقراءة فصول من آلام المسيح

واذا دخل البابا في النزاع جثا الحضور عند فراشهِ واقاموا الادعية على نيَّتهِ بينما يجتمع الرهبان المأذونون بحلّ المحفوظات (pénitenciers) ويتلون سبعة مزامير التوبة. وهؤلاء من الرهبنة الفرنسيسيَّة وهم اثنا عشر واليهم عهد البابا اقليميس الرابع عشر حلّ الخطايا المحفوظة للحبر الاعظم في كنيسة مار بطرس. واذا توفي البابا يقومون بتجهيز جثَّتهِ ويتناوبون عندها بالصلاة

وعند ما يلبّي البابا داعي بارئهِ يبلّغ كاتب دولتهِ بالخبر رسميًّا الى الكردينال الحكمدار (camerlingue) الذي يقوم مقام الحبر الاعظم بكل مهمّات الامور الى يوم تعيين خلفٍ للمتوفّى. ورتبة الحكمدار من اعظم المراتب يخوّلها البابا نفسهُ لاحد كرادلتهِ بان يمنحهُ امام كلّ اهل بلاطهِ مخصرةً في اعلى طرفها تمثّالتان من ذهب تدلُّ على سلطتهِ وهذا الكردينال يقدمها لاحد السادة الحاضرين فيجعلهُ نائبًا عنهُ ـ vice) (camerlingue وللحكمدار بعد وفاة البابا الحقّ بتدبير الامور وجمع المجامع الكردينالية ونظارة الاوقاف والمالية ولهُ ان يضرب السكّة باسمهِ مع الدلالة على رتبتهِ ويتقدمهُ الحرس السويسري في خروجه ودخولهِ ويقدَّم لهُ الاكرام من سجود وسلام كما يقدَّم للبابا نفسهِ طول فروغ الكرسيّ الرسولي الّا انهُ لا يستطيع ان يغيّر شيئًا في هيئة الدولة او يتعهَّد باسم البابا عهدًا ما وكان لاون الثالث عشر حكمدارًا لبيوس التاسع. امّا الحكمدار الحاليّ فهو الكردينال لوجي اوريليا دي سان ستيفانو

فاذا أُنبئ الكردينال الكمرلنغ بوفاة الحبر الاعظم سار من وقتهِ الى البلاط البابويّ فجلس فيهِ كانهُ ربُّ البيت واخذ في مباشرة مهنتهِ فيعيّن اولًا احد الحجّاب البابويين ليصون غرفة الاب الأقدس ويسجّل كل ما تتضمّنهُ. ثمّ يلبس لبس الحداد وهو الثوب البنفسجيّ البحت فيسير الى حجرة الميت يتقدَّمهُ القهرمان وبعض الخواصّ فبعد صلاة وجيزة على وسادة بنفسجيّة يتقدَّم من الميت ليتثبَّت موتهُ فيضرب جبينهُ ضربًا خفيفًا بمطرقةٍ من فضة ثلاثًا وهو يدعوهُ باسم عمادهِ فاذا انتهى من ذلك اعلن بموتهِ قائلًا: « انَّ البابا قد مات حقًّا » ثم يتلو مع الحضور المزمور « من الاعماق » وصلاة الموتى ثم يرش الجثة بالماء المصلّى

فحينئذٍ ينتزع حاجبُ البابا من اصبع الميت خاتمهُ المعروف بخاتم الصيّاد ويسلّمهُ للحكمدار مؤذنًا بذلك انَّ في يدهِ صارت سلطة الكنيسة موقّتًا. وهذا الخاتم يمثّل صورة القديس بطرس في سفينةٍ وعليهِ اسم البابا وبهِ يختم البراءات المكتوبة على الرقّ. وفي اوّل مجمعٍ يجتمع فيهِ الكرادلة يُكسر هذا الخاتم مع الخواتم الاخرى التي فيها اسم البابا المتوفّى دلالةً على فروغ الكرسي البابويّ

ثم يكتب احد الكتّاب قرارًا يدوّن فيهِ صحّة موت البابا وتسليم الخاتم الى يد حكمدارهِ. ويخرج الحكمدار لينشر رسميًّا خبر الوفاة. وكان اوّل من يعلمهُ بذلك

لمَّا كانت رومية في حكم البابا رئيسَ البلدة فيدقّ ناقوسُ الكبيتول الكبير دقّة الحزن فتجيبهُ نواقيس المدينة كلها . لكنَّ الآن يُعلن الامر بورقة ممضاة بختم الكردينال النائب تُنشر على ابواب الكنائس ويبتدئ ناقوس كنيسة مار بطرس بالدقّ المحزن

وكان السعاة يسيرون للحال ناقلين لكل الانحاء رسائل خاصّة تنعي الى الكرادلة المتفرّقين موت عميدهم وتدعوهم الى انتخاب خلفهِ . واليوم صار التلغراف يقوم مقام السُّعاة والبريد الّا في الامور السرّيّة فانها تُكتب برسائل مختومة ومضمونة بالتعهُّد . امّا الدُّول فان كاتب سرّ البابا يوفد الى معتمديها في رومية كتباً رسميَّة يفيدهم بها مصاب الكنيسة ويعلمهم انَّ مهنتهُ تبطل منذ ذاك اليوم فلا يعود لهُ سلطة مطلقاً حتى انتصاب بابا جديد . ويلبس كل الكرادلة وحاشية الفقيد الحداد الى يوم دفن البابا . وكذلك اساقفة العالم الكاثوليكيّ اذا بلغهم منعى ابي المؤمنين يلبسون السواد ويفرضون بالصلوات على نفس المرحوم و باقامة جناز حافل

وفي اثناء ذلك يُجهّز الرهبان الفرنسيسيُّون مأذونو كنيسة القديس بطرس جثَّة الحبر الاعظم ويعرضونها على دكَّة مرتفعة تنصب في رواق الغرفة البابويَّة والميت مضجع بالثياب البابويَّة فوق فراش مغطّى بحرير احمر وعلى طرفيهِ شمعدانان كبيران تسطع انوارهما . وعند مدخل الرواق حرسان من الحرس الشرفيّ واقفان وبايديهما سيفٌ مُشهَر طرفهُ الى الارض . ويبقى الجسم معروضاً عدَّة ساعات والرهبان على جانبيهِ يتلون فرض الموتى باصوات شجيَّة

وفي الليلة التالية يتولّى الاطبّاء تحنيط الجسم . فالاجزاء الداخليَّة منهُ بعد نزعها وغسلها تُودع في اناء من الرخام الابيض وتُنقل في عربة بين المشاعل الى كنيسة الشهيدين قنسان وانستاس حيث تُجعل في مدفن خاصّ ابتناهُ البابا بندكتس الرابع عشر بعد تلاوة صلوات الجنّاز . هذا اذا مات البابا في بلاط الكورينال امّا اذا كانت وفاتهُ في قصر الڤاتيكان فانَّ احشاءهُ تُجعل في دهليز كنيسة مار بطرس

وبعد تحنيط الجسم يُعرض لاوّل مرَّة لاكرام الجمهور مدَّة اربع وعشرين ساعة بالثياب العاديَّة اعني المدرعة والمنطقة البيضاويتين الحريريَّتين والكتُونة البيضاء المطرَّزة بالتخاريم فوقها رداء قصير من الحرير الاحمر المخشّى بجلد القاقم الابيض وعلى رأسهِ كنّة من المخمل الاحمر على دائرتها جلد القاقم ويحذّى بالاحذية الحمر

ثم تُنقل الجثة بكل اكرام الى المعبد السكستي. وكان هذا الموكب حافلًا خطيرًا اذا مات الحبر الاعظم في بلاط الكويرينال. فانهُ كان يوشح بثيابهِ الحبريَّة ويجعل على سُدَّة فخيمة فتُقلهُ ليلًا عجلتهُ الملوكية مكشوفًا تتقدَّمهُ فرق الجند ببزَّتها المختلفة الرائقة منكِسين الاسلحة والرايات يليهم الحرس الشرفي والحرس السويسري ورجال الدولة كلهم بشارات الحداد تضيئهم في طريقهم المشاعل والنفَّاطات وكان ينتهي الموكب بسبعة مدافع تُسيَّر من ورائهِ. وكان في خلال ذلك يدقُّ النفير وتُعزف المعازف الشجيَّة وتُسمع نواقيس رومية دقَّاتها المحزنة حتى يبلغ الحفل تمثال قسطنطين في ساحة القاتيكان عند الدرج الملكيّ فكان الجسم ينزَّل هناك ويُحمل من ثمَّ على الاكتاف الى المعبد السكستي. وكان هذا المنظر مهيبًا جدًّا لا يُرى لهُ شبيه في سائر المعمور

وفي المعبد السكستيّ يُلبس الجسم الملابس المقدَّسة التي يلبسها البابا عند تقدمة الذبيحة الالهيَّة من بدلة ودرع الرئاسة وتاج وصليب وغير ذلك ثم يُعرَض هنـاك الى صباح اليوم الثالث وقومٌ من رجال الدين يحيون الليل عندهُ في الصلاة وتلاوة المزامير

وفي ضُحى النهـار بعد جنَّاز حافل يقوم بهِ متولُّو رعاية كنيسة القديس بطرس ينقل القانونيُّون جثَّة الحبر الاعظم من المعبد السكستي الى معبد القربان الأقدس داخل كنيسة مار بطرس بكلّ ابهَّة مجتازين بردهات البلاط البابوي الواسعـة ويحضر الكرادلة هذه الحفلة ويجهرون بالصلوات والاناشيد الكنسيَّة

وعند بلوغ الموكب الى كنيسة القديس بطرس يسير الجمع بنظـام وخشوع الى معبد القربان الأقدس ولهذا المعبد شعريَّة كبيرة من حديد فتقفل الشعريَّة لئلَّا يزدحم جمهور المؤمنين على جثَّة الاب الأقدس لكنَّ هذه الجثة تُصمد من وراء الشعريَّة على سُدَّة عالية بحيث تُرى من صحن الكنيسة من بعيد الَّا انَّ قدمي البـابا الطاهرتين تنفذان الى خارج الشعريَّة ليتمكَّن من لثمهما الزوَّار المتواردون الوفًا مؤلفةً

وهناك يُحتفل بجنَّاز ثانٍ يتولَّاهُ اقدم الكرادلة سنًّا. ثم يبقى الجسم معروضًا ثلاثة ايَّام لاكرام المؤمنين وحولهُ اثنا عشر شمعدانًا كبيرًا ويحرس الجسد اربعة من الحرس الشرفيّ اثنان منهما عند الراس واثنان عند القدمين. ويتناوب الاكليروس في الصلوات وتلاوة فرض الموتى

وفي غد ذلك اليوم وهو الرابع بعد وفاة البابا تبتدئ تساعيَّة لراحة نفس المتوفَّى.

وهذه التساعيَّة تُعقد كلَّ يوم مدَّة تسعة أيَّام فتُقام الحفلات المحزنة وتقدَّم الذبيحة الطاهرة برونق عظيم وتُختم بجنَّاز حافل. ويتولَّى هذه الحفلات قانونيُّو كنيسة القديس بطرس الَّا الثلاثة الأيَّام الاخيرة منها فتكون احفل واعظم شأنًا يقوم بها مجمع الكرادلة. ويشيَّد لذلك عادةً في كنيسة القديس بطرس نعشٌ صناعي وهو عبارة عن بناية جميلة تُجعل عليها شارات الحزن وصورة المتوفَّى مع شعارهِ وتُنصب حولها الاشباح والتماثيل مع نقوش بهيَّة رمزيَّة تدلُّ على اعمال الفقيد وتُضاء حولها الوف من الشمع

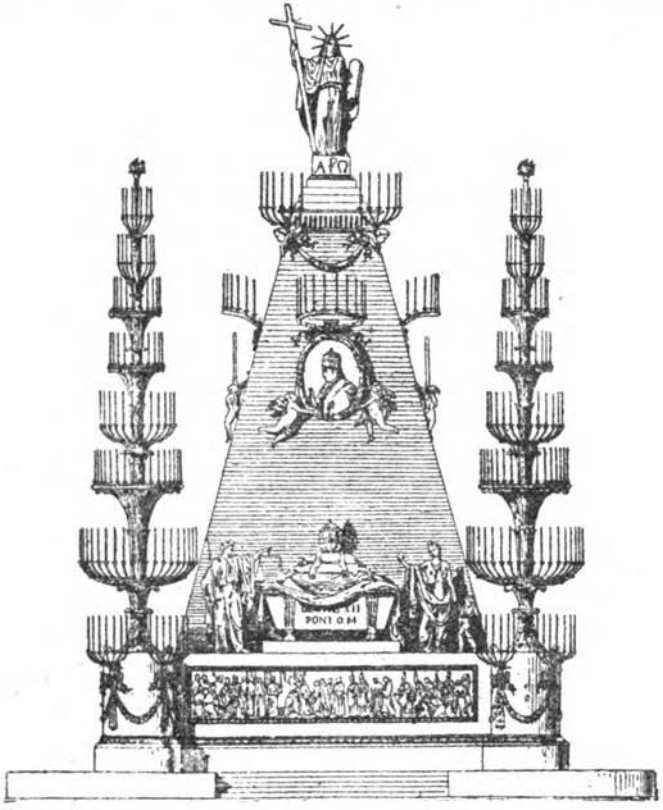

مثال الضريح الصناعيّ المُقام لذكر البابا لاون الثاني عشر سنة ١٨٢٩

ورُتب التساعيَّة تُقام عند هذا الضريح الصناعيّ في صحن كنيسة القديس بطرس ما لم تقضِ الظروف باقامتها في معبد آخر كما جرى لبيوس التاسع فانّ الكرادلة اقاموا رُتب الثلاثة الأيام الاخيرة في المعبد السكستيّ

وفي اليوم الثالث من الرتب التساعيَّة يُدفن جسم البابا دفناً موقَّتاً في احد جدران كنيسة القديس بطرس. وهي حفلة مؤثرة لا يحضرها سوى الكرادلة وحاشيـة البابا المتوفَّى وحجَّابهُ مع قانونيّي كنيسة القديس بطرس في نحو مائة شخص

وهذه الحفلة تتمُّ عند المساء بعد ان تُقفل ابواب الكنيسة فلا يستضاء فيها الَّا بالمشاعل. فيخرج من الموْفه موكبُ القانونيين وهم ينشدون المزمور « ارحمني يا الله » فيسيرون اثنين اثنين الى معبد القربان الأقدس حيث ينتظرهم الكرادلة وفي ايديهم الشمع الموقدة. فاذا بلغوا الى نعش البـابا رفعوهُ على اكتافهم وطافوا بهِ منتظمين في صحن تلك الكنيسة العظمى يترنَّمون بصلوات الكنيسة الخاشعة فيمرُّون عند تمثـال القديس بطرس ثم قريباً من قبرهِ المجيد الى ان يبلغوا معبد القانونيـين فهناك يترنَّم المرتلون بصلاة الدفن « الى الملكوت ». ثم يتقدَّم اكبر القانونيين رتبةً وهو لابس الثياب الحبريَّة فيبـارك ثلاثة توابيت معدودةً هناك ثمَّ يرش بالماء المصلَّى جسم الميت ويبخرهُ. ثم تتلى بعض المزامير مع صلوات الجنَّاز

التَّابوس الموقَّت الذي يحمل فيهِ تابوت الاحبار المتوفَّين

وعند ختامها يمسك القانونيُّون والحرس الشرفيّ اربعة اطراف كفن ثمين من القطيفة وُضع فوقـهُ جسد الحبر الاعظم ويجعلونهُ بكل ثيـابهِ الحبريَّة في التابوت الاوَّل وهو من خشب الارز. ثم يضـع القهرمان في هذا التابوت ثلاثة اكياس فيها نقود من ذهب ومن فضَّة ومن شبَه عليها صورة الفقيد على عدد سني ملكهِ. ويضع من بعدهِ اوَّل كردينال اقامهُ البابا المتوفَّى اسطوانةً من المعدن تتضمَّن رقًّا من الغزال كُتبت فيهِ خلاصة اعمال المرحوم ويجعلها عند قدميهِ

ثم يتقدَّم احد الكرادلة من قرابة الاب الأقدس او قهرمانهُ فيغطّي وجههُ ويديهِ بمنديلٍ من الحرير الابيض. وهي رتبة مؤثرة يُسمع في اثنائها عويل الحاضرين الذين لا يعودون ينظرون الى وجه عميدهم وسيّدهم. ثم يُمدّ على الجسم غطاء من الارجوان ويُسَجّى بالكفن الثمين ويُمكَّن التابوت بالبراغي ثمَّ يقرأ كاتب قانوني كنيسة مار بطرس تقريرًا عمَّا جرى ويُثبت تسليم الجسم من الكرادلة الى مجمع القانونيين ويُختم هذا التابوت بار بعة ختوم من الشمع الاحمر. ثم يُدخل في تابوت ثانٍ من الرصاص يختم باربعة ختوم أُخرى اوَّلها ختم الحكمدار الكردينال الكمرلنغ مع كتابة عليها اسم البابا وتاريخ ملكهِ ويُجعل هذا التابوت في تابوت ثالث من السنديان

وبعد هذا تُرفع بالبكرات التوابيت الثلاثة فتُجعل في ناووس موقَّت حُفر على جانب معبد القانونيين شمالًا في وسط بعض سواريهِ على علوّ نصف قامة (انظر الصورة ص ٦٨٣). وهذا الناووس يبقى فارغًا الى ان يموت احد البابوات فيجعل فيهِ جسمهُ مدَّة قبل ان يُنقل الى ضريحهِ الاخير الذي يُعَدّ لهُ بعدئذٍ

وبعد دفن البابا تتوالى أيَّام التساعيَّة بالصلوات والرتب السابق ذكرها حتى تنتهي في اليوم الاخير بحفلة الختام وفيها يؤبن البابا المتوفَّى احدُ الخطباء الذي اتَّفق على تعيينهِ لفيف الكرادلة لهذه المهنة بحضور سفراء الدول واعيان رومية ورؤساء الجمعيَّات الرهبانيَّة والاساقفة والكرادلة وبذلك ينتهي جداد الكنيسة على رئيسها. وقد فرض البابا غريغوريوس العاشر انهُ لا يجوز ان تتجاوز النفقات على جنازة البابا عشرة آلاف دوكات او ريال روماني (نحو ٥٤٠٠٠ فرنك)

هذا وان الصلوات التساعيَّة وجنازة البابا لا تمنع الكرادلة ان يجتمعوا كلَّ يوم لتدبير امور الكنيسة واعداد اللوازم لانتخاب البابا الجديد فانَّ الكمرلنغ يدعوهم كلَّ يوم في ساعات معلومة امَّا في موفه كنيسة القديس بطرس او في بعض نوادي قصر الڤاتيكان فيتصدّر بينهم ولكلّهم حقّ متساوٍ في سياسة الكنيسة وهم يجلسون بالترتيب حسب طبقاتهم الثلاث اعني الكرادلة الاساقفة ثم الكرادلة الكهنة وبعدهم الكرادلة الشمامسة بحسب زمن ارتقائهم الى الرتبة الكردينالية. ولكلّ منهم مظلَّة فوق راسهِ دلالةً على تساويهم في تدبير الامور وهذه المظلَّات تُنزَع يوم انتخاب البابا فيبقى لهُ وحدهُ حقّ الجلوس تحتها

وتُفتتح هذه الاجتماعات بصلاةٍ الى الروح القدس يطلبون منهُ بان يجمع كلمتهم الى الصواب ويملأهم بمواهبهِ لخير الكنيسة الاعظم

ثم يعرض الكمرلنغ على اخوتهِ الاحكام التي لا بُدَّ من فصلها فيحكمون فيها على اغلبيَّة الاصوات. وعلى منضدة منفردة كاتب اسرار يدوّن ما اتَّفق عليهِ الكرادلة. وفي هذه الاجتماعات يقرأ الحكمدار ما ورد على الكرسيّ الرسولي من الرسائل البرقيَّة بخصوص وفاة البابا ويستشيرهم في الجواب. وعند نهاية الاجتماع يدخل سفراء الدول فيقدّمون باسم حكومتهم التعازي لمجمع الكرادلة واذا دخل السفير جثا ثلاثًا كانَّ البابا حيّ ثم يفوه واقفًا بخطبةٍ شفاهيَّة وينبئ باملهِ انَّ خلف الميت يعزّي قريبًا الكنيسة المترملة ثم يقف الكرادلة اجمعون ويجيب باسمهم اقدمهم سنًّا على خطاب السفير ويكلّفهُ ان يبلّغ دولتهُ شكر الكرسيّ الرسولي على عبارات الولاء التي بُلّغوها مع ابداء الامل بان الدولتين لا تزالان في حبٍ (التتمَّة لعدد آخر)

شذرات في اصل القهوة

للدكتور بطرس كُيك مدرس فنّ الصيدلي في مكتبنا الطبيّ

لو جُمع كلُّ ما صنّفهُ الكتَّاب في القهوة ووصفها لبلغ الأضابير المضبَّرة فمن ثمَّ لستُ ادَّعي باكتشاف شيء جديد في تعريف هذا النبات الثمين وانَّما جمعتُ شذراتٍ في هذا المعنى احببتُ ان ادوّنها في هذه المجلة لافادة القرَّاء.

انَّ للقهوة كما لسائر المحصولات التي تُعدّ الآن من قوت الانسان الضروريّ احاديث غريبة واقاصيص عجيبة يتناقلها الجمهور. فمن قائل انَّ داود النبي هو اوّل من وقف على خواصّها وربّ زاعمٍ روى انَّها اقدم منهُ عهدًا. وممَّا يُخبَر انَّ رئيس دير في جزيرة العرب خرج يومًا الى الصحراء فرأى قطيعًا من المعزى كان يرعى بعضها اغصان شجرة فتنشط باكلها وتمرح وكانت الشجرة شجرة القهوة فاستدلَّ بذلك على ما لحبوبها من القوّة. وقد ذهب مرهج بن نمرون الماروني في كتابٍ طبعهُ باللاتينيَّة في رومية العظمى (١ سنة ١٦٦١ الى انَّ اوّل من اطَّلع على خواصّ القهوة راهبان نصرانيَّان

(١ F. Naironi : *de salubri potione* « Cahve » *seu* « Cafe » *nuncupata discursus*, Romæ, 1661, p. 8.